

العقبات التي تواجه اللغة العربية

عمار علي ماضي

ammarsedrati1967@gmail.com

جامعة الزيتونة تونس الجزائر

ملخص البحث: إن واقع اللغة العربية في اليوم المعاصر هذا، هو انعكاس للوضع الذي وصل إليه حال الأمة الإسلامية ، وهو صورة للواقعة التي توجد عليها وكما قيل كما تكونوا يولى عليكم ، ولذلك كان الاهتمام بمعالجة مشكلات اللغة العربية أولى الاهتمام من طرف العلماء والمنظرين ، وبحث قضاياها للخروج بها من الدائرة التي تتراجع فيها أهميتها لدى فئات واسعة من أبنائها ، جزءاً لا يتجزأ من الاهتمام بقضايا البناء الحضاري للعالم الإسلامي . ويهدف بحثنا المتواضع هذا إلى الكشف عن بعض المشاكل التي واجهت اللغة العربية على مر العصور ولاسيما في العصر الحديث ومحاولة معرفة الأسلوب الجيد لحفظ اللغة ، وتكمن أهمية البحث في أنه يلقي الضوء على المشاكل التي تواجه اللغة العربية ، والطريق الكفيلة في مواجهة هذه التحديات والعقبات.

الكلمات المفتاحية: العقبات، اللغة العربية

المقدمة

فاللغة هي وعاء الاتصال الثقافي وأداة الاتصال بين الماضي والحاضر، ولا يستطيع الإنسان مهما كان أن يقف أمام هذه الكنوز الفكرية الإنسانية من تاريخ وشعر ونثر بدون اللغة، فاللغة وهي جزء لا يتجزأ من السيادة، والحفاظ عليها هو حماية لهذه السيادة. وللغة العربية مكانة مرموقة في قلوب أبنائها خاصة، وبين اللغات عامة، هذه اللغة (العربية) التي نقلت المجتمع العربي من مجتمع بسيط متخلف إلى مجتمع غاية في الرقي الفكري والحضاري منذ أحقاب ودهور، فهي التي حملت الشعر والأدب، كما حملت الرسالة الخاتمة، وكانت وسيلة تخاطب وتعارف بين العرب وغيرها من الأمم الأخرى، وهي التي خضعت لها جميع الفنون الوافدة من الرومان والفرس والهند وغيرها؛ لأنّ السلف كانوا رجالاً أرادوا للغة العربية أن تتبوأ المكانة المرموقة، وذلك عن طريق حبهم للغتهم، وتكريس حياتهم للعلم والرقي، فضلاً عن ذلك قوتهم في شخصيتهم وتمسكهم بدينهم وعقيدتهم والمحافظة على أصالتهم وعراقتهم.

وقد عاشت اللغة العربية عبر العصور التاريخي بعد الإسلام وهي في صراع مستمر، وكان ذلك أمراً طبيعياً خلال مراحل الفتح الإسلامي، وأقبل الناس على اللغة العربية إقبالهم على دين الإسلام، وتداخلت اللغة العربية بغيرها، ففشا اللحن وقام علماء العربية الأوائل بوضع القواعد لحفظ اللغة العربية من اللغات الأخرى، ولكن بعد تمكن الاستعمار من الدول العربية اتخذ من اللغة العربية هدفاً أساسياً لإبعادها عن مجال التعليم سعياً وراء تمكين لغته وثقافته، وظهرت نعرات ودعوات التي تدعو إلى نبذ العربية وأنها لغة المتخلفين، كما أنّ اللغة العربية باتت تعاني من بعض أبنائها جلدتها الذين يلجأون إلى استخدام لغات المستعمر في أحاديثهم وكتاباتهم، وأغلب هؤلاء ممن حصل على درجاتهم العلمية من بلاد أجنبية، فهو يرى في الحديث بغير العربية إعلاناً عن نفسه وعن ثقافته، وقد يرى أن لغته العربية لا تساعد على أن يقول ما يدور في عقل الإنسان من تعبير وتفكير. إذاً فمظاهر ضعف اللغة العربية في الوقت الحاضر تكمن في استخدام اللغات الأجنبية في معظم الجامعات العربية، وتسلسل كم هائل من المفردات إلى هذه

اللغة، وهجر الفصحى اللغوي، وضعف معلمي اللغة بشكل عام، والعربية بشكل خاص، وفضلاً عن غيرها من الأسباب الأخرى.

مكانة اللغة العربية

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للعالمين للبشر كافة، لم تخص بنور هدايتها أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون غيرها، ولا دعت شعباً دون آخر، ولا كانت لإقليم على ماسواه، فليست مقيدة في موطن، ولا محصورة في بلد، وإنما وطنها الكرة الأرضية بأسرها، وهذا ما يفيد قوله الله لنبيه : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين^(١)

والواقع أن هذا العالم الواسع وما يحويه من لغات مختلفة، وقبائل متعددة، وأقاليم متباينة، وبلدان متسعة، وأرجاء شاسعة، فكان ولا بد لهؤلاء من لغة تجمع هذا المتفرق، وتقرب هذا المتباعد، وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد، بعقيدة واحدة، ويصدقون بكتاب واحد، ويتبعون رسولاً واحداً؛ لأن معرفة لغات المسلمين كافة على شخص واحد ليست بالأمر السهل أو الشيء الهين، بل تكاد تكون أمراً مقدور عليها، نظراً لعمر الإنسان القصير، إذ أنه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم إتقان، وإحاطة، وإجادة.

فاختار الله لهم لغة واحدة يتعارفون ويتفاهمون بها، هي لغة عاصمة لغة القرآن وهي اللغة العربية، اختارها الله لما تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة اللتين لا توجدان في غيرها من اللغات^(٢).

واللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحية في العصر الحاضر، كما كانت قديماً تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة، ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصة بشيء من التقديس والاحترام، وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الإعجاب والإكبار^(٣)، وذلك للأسباب الآتية: اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي يتعبد بها

(١)- الأنبياء / ١٠٧.

(٢)- ينظر: اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية / ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣)- ينظر: المدخل إلى اللغة العربية / ١٧.

المسلمون منذ أربعة عشر قرناً، وقد دُوّن بها المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية وهو السنة المطهرة ، وبالتالي فإنّ كل مسلم بحاجة ماسة إلى تعلم هذه اللغة وفهمها، لمعرفة ما ورد في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. واللغة الفصحى هي لغة أمة مجيدة عظيمة العدد، متعددة الأوطان، منتشرة على مساحة كبيرة من رقعة الأرض، فهي لغة الإسلام، والدين الذي يدين به مئات الملايير من البشر في مختلف بقاع العالم و به تقام شعائر الإسلام في كل بلد، فالأذان يرتفع خمس مرات من المآذن بالعربية في كل مدينة أو قرية في كل وطن به عدد من المسلمين، والقرآن الكريم يرتل كل يوم بأفواه المقرئين بالعربية ، وتنقله الإذاعة المرئية والمسموعة إلى المسلمين في كل بلد. ومن لا يجيد قراءة القرآن الكريم باللغة العربية فهو يحفظ على الأقل جزء أقلها سورة الفاتحة أم الكتاب وسوراً أخرى من قصار السور في القرآن الكريم، يقيم بها صلاته، ويؤدي بها ما فرض عليه من مشاعر ومناسك، ولذلك فإن تعلمها، وإجادة النطق بها فرض ، وإحسان ترتيل القرآن بها أمر يحتمه الدين قبل أن يكون واجباً دينياً^(٤).

فاللغة العربية لغة عريقة قديمة، وصلت إلينا عبر مسيرة تاريخية طويلة، مرت خلالها بالعديد من الأحداث المختلفة، وواكبت العديد من اللغات واللهجات التي كانت موجودة قبلها، أو متزامنة معها، أو حديثة جاءت بعدها، واستطاعت اللغة العربية الفصحى أن تأخذ طابعها الفريد وشكلها المميز، ومكانتها التاريخية الخاصة بها.

لقد استطاعت هذه اللغة أن تتغلب على الظروف والمحن التي اعترضت طريقها منذ أمد بعيد، وهي الآن تؤكد عزيمتها القوية على مجابهة الظروف والتحديات المعاصرة؛ لأنها قامت على أساس تاريخي متين، مكنها من حمل آخر الكتب السماوية المنزلة إلى الثقلين (الإنس والجن)، ألا وهو القرآن الكريم، الذي يعد أول أسرار بقاء الفصحى على صفحة التاريخ؛ لأن الله تكفل بحفظها ما دامت لغة كتابه قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون^(٥).

(٤) - ينظر: اللغة العربية لغة الإسلام / ٢٣٧.

(٥) - الحجر / ٩.

اللغة العربية لغة حضارية متميزة استطاعت أن تسطر خلال مسيرتها العديد من الإنجازات الحضارية، وخير شاهد على ذلك الحضارة العربية الإسلامية^(٦)، فلم يمض قرن من الزمان على تأسيس الدولة الإسلامية، حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى لغة العلم والفكر، وانتقلت من مرحلة الترجمة، والنقل والتعريب إلى مرحلة التأليف والإبداع في جميع مجالات الفكر والمعرفة، فهي لغة الأدب والفقه إلى جانب لغة الفلسفة وعلم الكلام، وعلوم الأوائل من طب وهندسة وفلك ورياضيات وكيمياء، وتقف مؤلفات الكندي وابن سينا والبيروني والفارابي وابن رشد وابن زهر، وغيرهم من أعلام التراث العربي الإسلامي، شاهد على قدرة العربية على التعبير عن حصيلة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية، ومن ثم الانطلاق إلى الإبداع والتأليف، بل إلى إنتاج العلم، والكشف عن مناهجه المختلفة^(٧) ٤- اللغة العالمية هي التي تتجاوز الحدود الإقليمية، وتتعدى نطاق الاهتمام إلى كثير من دول العالم، وهذا شأن اللغة العربية الفصحى التي لم تنطو على ذاتها، أو تتوقع على نفسها في إقليم واحد، أو منطقة واحدة^(٨)

مميزات اللغة العربية

تعد اللغة العربية أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بعقيدة الأمة، وهويتها، وشخصيتها، لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً لحضارة أمتها، وازدهارها، وشاهداً على إبداع أبنائها، وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي تسعة قرون^(٩).

لذلك اتسمت بسمات متعددة حروفها، ومفرداتها، وإعرابها، ودقة تعبيرها، وإيجازها، وهذه السمات جعلت أرست رينان يقول فيها: (من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى، عند أمة من الرحل، تلك

(٦)- ينظر: مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى / ٣٧ . ٣٨ .

(٧)- ينظر: مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى / ٣٧ . ٣٨ .

(٨)- ينظر: مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى / ٣٩ .

(٩)- ينظر : التربية وثقافة التكنولوجيا / ١٨٢ .

اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ورقة معانيها، وحسن نظم مبانيها) ^(١٠). أما الأمريكي (وليم ورل) فيقول: (إنّ اللغة العربية من اللين، والمرونة، ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى، من اللغات التي احتكت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي) ^(١١).

ويرى المستشرق الإيطالي (جويدي): ((إنّ اللغة العربية الشريفة آية للتعبير عن الأفكار، فحروفها تميزت بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى، كالضاد والطاء والعين والغين والحاء والطاء والقاف، وبثبات الحروف العربية الأصيلة، وبحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، وبالعلاقة بين الحرف والمعنى الذي يشير إليه، أما مفرداتها فتميزت بالمعنى، والاتساع، والتكاثر، والتولد، وبمنطقيتها، ودقة تعبيرها، من حيث الدقة في الدلالة والإيجاز، ودقة التعبير عن المعاني)) ^(١٢)، لذلك قال الإيطاليون: ((إنّ لغة العرب تميزت بجمالها، وموسيقاها، والتفاضل بين اللغات يكون في كثرة إنتاجها الأدبي والفكري لا في عدد ألفاظها، والعالم الألماني (فرينباغ) يشير إلى غنى اللغة العربية في قوله: ((ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلفنا عنهم في الزمان، والسجاياء، والأخلاق، أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية، وبين ما ألفوه حجاباً لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة)) ^(١٣).

يظهر لنا مما تقدم ذكره تميز اللغة العربية عن اللغات الأخرى، وهذا التميز يكمن في قدرتها الفائقة على الاشتقاق، وتوليد المعاني، والألفاظ، وقدرتها على التعريب، واحتواء الألفاظ من اللغات الأخرى، إلى جانب غزارة صيغها وكثرة أوزانها، وهذه السعة في المفردات والتركيب، أكسبتها السعة والقدرة على التعبير بدقة ووضوح.

(١٠)- اللغة العربية بين حماتها وخصومها / ٢٨

(١١)- المصدر نفسه والصفحة نفسها

(١٢)- طرائق تدريس اللغة العربية / ٢٠٣

(١٣)- اللغة العربية بين حماتها وخصومها / ٢٨

عالمية اللغة العربية

تحتل اللغة العربية اليوم الموقع الثالث في لغات العالم، من حيث عدد الدول التي تقرها لغة رسمية، والسادس من حيث عدد المتكلمين بها، والثامن من حيث متغير الدخل القومي، في العامل الاقتصادي، وهي متأرجحة من حيث المنزلة في العوامل الأربعة الأخرى: (الثقافي، اللساني، الاقتصادي، العسكري)، ففي جانب النشر الإجمالي من العامل الثقافي، تحتل عالمياً الرتبة ٢٢ ، و ٤٢ في النشر العلمي خاصة، وهي إحدى اللغات الست الرسمية في أكبر محفل دولي ((منظمة الأمم المتحدة))، وتهيمن على جزء من الإعلام العربي، ولها حضور في النظام التعليمي، وحضور أقل في النظام الإداري والتنظيمي، وبذلك فهي إحدى اللغات الإحدى عشرة الأكثر انتشاراً في العالم (حسب ترتيب المتكلمين بها: الصينية، الانجليزية، الإسبانية، العربية، الهندية، الروسية، البرتغالية، البنغالية، الألمانية، اليابانية، الفرنسية)، كما أنها من الثماني، من بين هذه اللغات الإحدى عشرة التي تكاد تقتسم المعمورة فيما بينها، وتحتفظ كل منها لنفسها بقاعدة جغرافية واسعة: (الماندرين في آسيا الوسطى، الإسبانية والبرتغالية في أمريكا الجنوبية، الانجليزية في أمريكا الشمالية، العربية في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، الهندية والبنغالية في أغلب القارة الهندية، الروسية في أوروبا الشرقية)، كما أنها من بين اللغات الست التي يعرف بها الناطقون بها تزايداً ديموغرافياً أكثر من غيرها، وهي حسب الترتيب: (الإسبانية، والبرتغالية، والعربية، والهندية، والسواحلية، والماليزية).

ومما يجدر ذكره أنّ الحروف العربية تكتب بها كل من اللغات التركية، والفارسية، والماليزية ، والأندونيسية ، وأجزاء كثيرة من الحبشة وجنوب إفريقيا وبلاد الأندلس، والهند والأفغان وبلاد آسيا الوسطى والبلقان^(١٤)، وهذا من أكبر الأدلة على عالمية هذه اللغة وبقائها حية نابضة.

وقد أصبحت اللغة العربية، اللغة العالمية الأولى في مختلف العلوم والفنون، في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الثالث الهجري، وإنّ عالميتها ظهرت

(١٤)- ينظر : عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم / ٥ - ٢١

واضحة عندما كانت البعثات العلمية في مختلف الأقطار الأوربية تؤم مراكز الإشعاع الثقافي في قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وفارس، وبجاية، وتلمسان، والقيروان، وغيرها من مراكز العلم للدراسة في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية؛ لغة التدريس والبحث، ولغة المصادر العلمية لقد بلغت العربية أوج ازدهارها وانتشارها في القرن الرابع الهجري مما حدا بفيكتور بيرار إلى وصفها بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة، فهي كنز يزخر بالمفاتيح ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير.

ولو نظرنا إلى مسار عالميتها في قارات العالم القديم، في أوربا، وروسيا، وإفريقيا، نرى أنها دخلت إلى أوربا من خلال جسور الاتصال، كان أهمها إسبانيا (الأندلس)، وصقلية. ونشأت مراكز مختصة لدراسة اللغة العربية وتعليمها، في مراكز علمية في باريس وأكسفورد، وروما، وقد تركت آثارها الواضحة في مختلف الجوانب اللغوية والحضارية في العالم، حتى العصر الحاضر، فكثير من المصطلحات وجدت طريقها إلى اللغة الانكليزية، وإن دخول الأرقام العربية المغربية إلى أوروبا، يعد إسهاماً علمياً أصيلاً في النهضة الأوربية، جاء من خصائصها الذاتية، ومن ترابطها الأبدي بالقرآن الكريم، وحملها الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم كافة، دون تمييز في الجنس أو اللون أو اللغة^(١٥).

العقبات التي تواجه اللغة العربية

اللغة هي وسيلة التعبير عن المعتقدات، والأفكار، والآراء، وهي الأداة التي نستخدمها لنقل الأفكار، والقيم، من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن أمة إلى أمة، وكلما توحدت المصطلحات، وكلما اتفق الناس على تلك المصطلحات كلما تقاربت وجهات نظرهم واتفقت أهدافهم، وكانت الأمة في مظهر واحد، وفي صورة واحدة، وكلما اختلفت وجهات النظر بشأن الألفاظ، وكلما تباعدت تلك النظرات تفككت الأمة الواحدة، وعجزت عن تحقيق المظهر الواحد الذي يميزها، وإذا كانت هناك لغة تستطيع أن توحد بين الناطقين بها، وتصنع منهم قلباً واحداً يهتز لصوت واحد، ويتردد صده في قلوب الملايين

(١٥)- ينظر: تحديات اللغة العربية ومشاكلها في عصر العولمة / ٥٠.

في أن واحد، فإنه يأتي في مقدمة تلك اللغات اللغة العربية الفصحى، وإن هذه الحقيقة لا تخفى على أحد إلا على الجاحدين، والمكرين، والدخلاء على ميراث العربية وآدابها. ولقد أدرك المنصرون، والمستشرقون، وخبراء الاستعمار أن من أبرز العقبات التي تقف دون سرعة انتشار ثقافتهم، ونفوذهم هو اللسان العربي الفصيح الذي يهز المشاعر، ويأخذ بمجامع القلوب، ويبعث الحماس.

لقد أدرك أعداء الأمة الإسلامية أن أحد مقومات القوة في هذه الأمة هو هذا التراث الضخم في الفنون، والآداب، واللغة، والتاريخ، وأحسوا بعد دراسات واختبارات متعددة أن المخطط الصحيح لاقتلاع هذه الأمة في تاريخها هو إبعادها عن تراثها الإسلامي، وإبعاد النشء العربي والإسلامي عن منابع اللغة العربية الفصحى هو أضمن طريق لإبعادهم عن القرآن، وعن جميع مصادر تراثهم وتاريخهم^(١٦).

وقد تفنن أعداء اللغة العربية في محاربتها عبر وسائل عديدة ومتنوعة، ومن وسائل محاربة الأعداء للغة العربية الفصحى، ما يأتي: جعل التعليم بلغة الشعب الغالب المستعمر إجبارياً في مختلف مراحل التعليم ولجميع المواد التعليمية^(١٧)، ومنع تعلم اللغة العربية كما حدث في الجزائر وتونس، واكتفوا في بعض البلاد بجعل لغتهم لغة أساسية مع اللغة العربية كما حدث في مصر^(١٨) إهمال اللغة العربية التي هي اللغة الأساسية للبلاد إهمالاً كلياً أو شبيهاً به، أو جعلها في المراحل الأولى للخطة لغة ثانية لا لغة أولى، ثم التخفيف من شأنها شيئاً فشيئاً، حتى تصل إلى مرحلة الإهمال الكلي^(١٩)، ومن أمثلة ذلك وضع مادة اللغة العربية في آخر الجدول الدراسي بحيث لا تعد مادة أساسية بل هي من المواد المكملة مما حدا بالطلاب إلى عدم الاكتراث باللغة العربية في بعض البلاد العربية^(٢٠). التقليل من قيمة مدرس اللغة العربية، ومحاولة تنفير الشباب منه، وجعله مدعاة للسخرية

(١٦)- ينظر: الغزو الثقافي للأمة الإسلامية / ١٧١ - ١٧٢.

(١٧)- ينظر أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها / ٣٥٠.

(١٨)- ينظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية / ٤٤.

(١٩)- ينظر أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها / ٣٥٠.

(٢٠)- الغزو الثقافي للأمة الإسلامية / ١٧٢..

والاستهزاء^(٢١) والتنفير من اللغة العربية، بإثارة عبارة الاستهزاء منها، ومن قواعدها، والاستهانة بها، مع الترغيب في لغة المستعمرين، عن طريق تزيينها في النفوس، وتوجيه الدعايات المختلفة لعلومها، وفنونها وآدابها، وربط المنافع الاقتصادية، والعلمية، والسياسية، والصلوات العالمية بها^(٢٢).

فاللغة العربية تتعرض لألوان من الهجر والإقصاء والمضايقة والتشويه من أكثر أبنائها، وفي عقر دارها، ويتمثل ذلك بما يأتي:

١- محاصرة هذه اللغة بلهجات تحتكر عنها نبض الحياة اليومية لأبنائها من جهة، ومحاصرتها بلغات أجنبية منتجة للحضارة الحديثة، تحتكر عنها مجال العلم والتكنولوجيا وتسمية أشتائها الجديدة من جهة أخرى، مما يشنت جهود أبنائها بين لغة فصحي تفرضها الهوية والانتماء الديني والقومي وامتلاك الموروث الثقافي للأمة، والتفرد عن اللهجات بكل ما هو مكتوب ومقروء، وبنسبة عالية، عن اللغات الأجنبية المهيمنة على الجديد في العلم والتكنولوجيا والثقافة، ولكنها بعيدة عن لغة التخاطب ونبض الحياة اليومية، وعن إنتاج مفاهيم العلم الحديثة، وتعاني من تقصير بارز من قبل الساسة والعلماء في خدمتها. ولهجات فرعية تحتكر التخاطب ونبض الحياة، لكنها غير مكتوبة، وغائبة عن الموروث الثقافي وعن ميدان العلم الحديث.

ولغة أجنبية تسيطر على كل ما هو جديد في العلم والتكنولوجيا فلا يكاد يصل منه إلى اللغة العربية إلا ما مر عبر صمام الترجمة، ولكنها غائبة أو تكاد، عن التخاطب ونبض الحياة، وعن الموروث الثقافي الذي يشكل مرجع الفهم والاستيعاب لدى أبناء اللغة العربية، وتختص بجماعة من المتدربين، وهي عند أغلبها سميكة لا تمكن المستخدم من استعمالها وسيلة طيبة للإبداع؛ لأنها حازر أمام الأفكار والمفاهيم، والمحصلة في النهاية هي عجز اللغة عن أداء وظيفتها كأداة طيبة للتفكير الإبداعي^(٢٣).

(٢١)-المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٢)-أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها / ٣٥٠، ٢٢٠.

(٢٣)-اللغة العربية والعولمة الثقافية / ١٢١.

٢- إن لغة المستعمر للبلاد الإسلامية هي لغة الشعوب المسلمة في تلك البلاد في أكثر دول إفريقيا وآسيا، وترى القليل من المسلمين يحسن اللغة العربية، ويعرف لها قدرها، أما البقية فهم لا يحسنون غير لغة المستعمر، مع أنهم مسلمون وكان من الواجب أن يتقنوا لغة القرآن، لغة دينهم وعبادتهم.

٣- إن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية في كثير من جامعاتنا بل في جامعات الدول العربية، فالطب والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التجريبية كلها لا تدرس إلا باللغة الأجنبية مع قدرة اللغة العربية وسعتها، فالعدول عنها إلى الأجنبية وعدم وجود محاولات جادة لتعريب تلك العلوم أمر مؤلم ومحير.

٤- إن من المؤسف جداً أن تكون اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق هي اللغة الأجنبية مع أنّ غالبية الأطباء والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب ... إنّ المرء يشعر بالألم والحسرة عندما يتسلم وصفته الطبية فيجدها مكتوبة بلغة أجنبية أو (فاتورة) حسابه في الفندق فيجدها كذلك، بل إنّ الألم يزداد وتتضاعف الحسرة عندما تبحث عمّن يحسن العربية في تلك المواقع فلا تجده.

٥- إنّ من مظاهر الغزو الأجنبي ذلك الكم الهائل من المفردات التي تسللت إلى اللغة العربية في حين غفلة من أهلها، فلا تكاد تستمع إلى متحدث إلاّ وتجد في ثنايا حديثه بعض تلك الكلمات، ولاسيما معشر المثقفين غير مدركين لخطورة هذا المسلك.

٦- ومن مظاهر هجر الفصحى وغربتها تلك النظرة المتميزة لمن يتكلم أياً من اللغات الأجنبية ولاسيما الإنجليزية في الوقت الذي يلاقي فيه من يحاول أن يتحدث الفصحى شيئاً من الاستهزاء والسخرية من المجتمع الذي يعيش فيه، وربما يكون ذلك في بعض الأوساط العلمية التي من المفترض في روادها أن يلتزموا العربية الفصحى دون تقعر أو تشدد في التماس الغريب.

٧- إن السياسات التربوية والمناهج الدراسية النظرية، انطبعت بهنات كثيرة، منها: عدم عناية المدرس باستخدام اللغة العربية الصحيحة مع تلاميذه وطلبتهم، والافتقار إلى أدوات للقياس الموضوعي في تقويم التعليم اللغوي، وقلة استخدام التقنيات الحديثة في تعليمها،

والخلط الكبير في درس النحو بين ما هو وظيفي وما هو غير وظيفي ولا ضروري، وقدم الطرق المستخدمة في توصيفها، وعدم وضوح طوق تدريس المبتدئين، واضطراب المستوى اللغوي من كتاب منهجي لآخر، وكون دراسة الأدب والنصوص لا تصل التلميذ بنتائج حاضره وتراث ماضيه وصلاً يظهر أثره في حياته، وتبقى تحوم حول النص غالباً دون أن تخترق حصنه، وطغيان مضامين الحياة المفارقة على هموم الحاضر والمستقبل في تدريس الأدب، ونقص عدد المعلمين المختصين وانخفاض مستواهم في أغلب مراحل التعليم، وبعد اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المدارس عن فصحي العصر، واستبعادها في أغلب الأحيان من درسي العلوم التطبيقية والمهارات العلمية، واعتماد المناهج على التلقين بدل الاستقراء والوصف والاستنباط^(٢٤).

٨- إنّ من مظاهر غربة اللغة وعدم الاهتمام بها بالصورة المطلوبة ما نراه ونشاهده من أخطاء جسيمة ومخالفات لغوية ونحوية واضحة في اللافتات واللوحات المعلقة على واجهات المحلات التجارية كما أننا نلاحظ بعض المسميات الدخيلة على اللغة العربية وكثيراً ما تزاحم اللغة الأجنبية لغتنا الأصيلة، فتكتب بخط عريض، وشكل جميل ينافس لغة البلاد المعتمدة.

٩- إنّ من مظاهر غربة اللغة وقلة الاهتمام بها الاحتفاء بالآداب الشعبية والأشعار العامية، فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره، والتشجيع عليه، وتفرد له الصفحات وتخصص له الملاحق، وهذا بلا شك دليل على ضعف المستوى التذوقي عند بعض أفراد الأمة، وفي هذا التشجيع لكتابة هذا النوع من الشعر صرف للناشئة عن كتابة الشعر العربي الأصيل^(٢٥).

ولا شك بأن العامل النفسي له دور كبير في تفشي الضعف في اللغة العربية، فقد دخل في روعنا أن اللغة العربية صعبة، متعددة، كثيرة القواعد مع اختلاف الآراء فيها، وأن الكتابة العربية بما فيها من مشاكل تشكل عائقاً كبيراً، وسبباً جسيماً في ضعف

(٢٤)- ينظر: اللغة العربية والعولمة الثقافية / ١٢١.

(٢٥)- ينظر: واقع العربية اليوم، مقال منشور في www.zahral.com

التلاميذ والطلاب في استخدام صحيح اللغة، ومن جهة أخرى فقد أصبحت مهمة تدريس العربية في شتى مراحل الدراسة، تسند إلى مدرسين غير أكفاء، كما أن وسائل الإعلام تساهم في الضعف اللغوي القائم، إذ لا تهتم كثيراً باللغة العربية، ولا تضع في أهدافها العمل على السمو والارتقاء باللغة الفصيحة السليمة.

أما المؤلفون الذين يكتبون في شتى الموضوعات بلغة ضعيفة، فهم يقدمون لقرائهم نموذجاً لا يساهم برفع مستواهم اللغوي، بل ينحدر بهم الضعف اللغوي الذي نشهده^(٢٦) وبناء على ما مرّ فلا بد من إيجاد الحلول المناسبة، بإعداد تربوي إلى جانب الشهادة الجامعية، بإعداد المعلم الجيد لأساليب التدريس، التي يجب أن توضع مراعية لمعطيات علم التربية وعلم النفس، ومناسبة لحقائق اللغة العربية ذاتها، وقدرات التلاميذ في تلقيها، والترفيه التلقائي الذي درجت عليه وزارات التربية والتعليم العربية على العمل به، في الصفوف الابتدائية الدنيا، سبب في جعل التلاميذ يصلون المراحل العليا وهم ضعاف في اللغة وفي غيرها من الدرس.

أما الخطر على اللغة العربية فيأتي من تهميشها تدريجياً (مع الزمن)، لقصورها عن أن تكون كما يدعي بعضهم لغة عمل وتواصل مع جميع الأصدقاء، بدءاً بالنشر العلمي، وتبادل الخبرات التكنولوجية، مروراً بالتعليم العالي، والتجارة، والصناعة، وغيرها، وصولاً إلى التعليم ولاسيما الأساس منه، وهذا قد يؤدي إلى ضمور اللغة واستخدامها في مجالات تقليدية محدودة.

العقبات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث

تمتاز اللغة العربية عن سائر اللغات بثباتها، لا تتغير، ولا يختل لها ميزان، أو يعوج لها عود، فهي من وقت أن عرفت في الوجود هي في أي زمان وأي مكان مهما تنوعت ألفاظها، وهي المعبر عنها باللغة العامية أو الدارجة، فإنها في أصولها ومنبتها عربية، وذلك مع غزارة مادتها، واتساع محيطها اتساعاً يكل البصر عن حصره، وغور بحرها غوراً يعجز الفكر عن سبره، وفضلاً عن ذلك في بعض ميزاتها من غزارة الاشتقاق، وفيض التصريف

(٢٦) - الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية / ١٠٧ - ١٠٩.

في أسمائها، وأفعالها بحيث لا تجاريها في ذلك أية لغة أخرى، ولذلك سايرت المدنيات القديمة كلها من هندية، وفارسية، وإغريقية، وتركية، ووسعت الحضارات المختلفة، مكتفية بما فيها من ثروة وغني، أو استعانت باقتباس ما رأت لزوماً لاقتباسه من عناصر اللغات الأخرى تحلية للفظها، أو توضيحاً لمعانيها، أو تجميلاً لرونقها، دون أن يمس ذلك الاقتباس جمالها، أو يحد من علوها، وسمو مكانتها، وقد سبق لفصحاء العرب هذا الاقتباس وكان موضع الفصاحة في اللفظ، والأناقة في القول في الشعر والنثر، بل إن القرآن الكريم نفسه قد اقتبس، واستعار من غير لغة العرب فما زاده الاقتباس ولا أكسبته الاستعارة إلا رونقاً فوق بلاغته وإعجازه^(٢٧).

وبالرغم من ذلك فإن اللغة العربية تواجه العديد من التحديات والتي من أهمها ما يأتي:

العقبة الأول: صعوبة الفصحى:

من كثرة تردد صيحات الصعوبة، اعتقد كثير من أساتذة العربية، والمشتغلين بها تعليماً وتديساً في كل مراحل التعليم، ومن كبار الكتاب أنها صعبة حقيقية. وبعد أن أوصى مدعو صعوبة اللغة العربية انتقلوا إلى مرحلة أخرى من الدعوة والادعاء ونادوا بجهارة استبدال العامية بالفصحى، وزعموا، أنّ العربية شديدة الصعوبة، بل زعموا أنها أصعب من أي لغة، ومن أي علم، وزعموا أن معرفة قواعدها بلغت من العسر ما لا يطاق^(٢٨)، وفي ذلك يقول طه حسين: ((إنّ اللغة العربية عسيرة؛ لأن نحوها ما زال قديماً عسيراً))؛ ولأنّ كتابتها ما زالت قديمة عسيرة، ثم دعا إلى ضرورة إصلاح اللغة العربية بقوله: ((أظن أن مسألة إصلاح علوم اللغة العربية قد أصبحت من الواضح والجلء، بحيث لا يجادل فيها إلا الذين يحبون الجدل والمراء، واعتقد أن هذا الإصلاح شرط أساسي لإصلاح التعليم كله))^(٢٩)، كما أنه يرى أن الإصلاح لا يقتصر على قواعد اللغة، بل رأى ضرورة أن يمتد أيضاً إلى القراءة والكتابة موصياً وزارة المعارف آنذاك بالألا

(٢٧)- كيف تستخدم اللغة العربية الألفاظ وأصلها العربي / ١٧١

(٢٨)- ينظر: قضايا ومشكلات لغوية / ٤٤.

(٢٩)- الاستشراف والتربية / ١٢٧.

يسند هذا الإصلاح للجنة من علمائنا فقط ، بل يجب أن يذاع في الشرق والغرب ويكون في صورة مسابقة لدى من لديهم الخبرة في هذا المجال^(٣٠) .

العقبة الثاني: الفصحى لا تصلح لأن تكون لغة الحياة، فهي لغة جامدة:

أعداء اللغة العربية الفصحى يزعمون أنها لغة ميتة، وغير صالحة لأن تكون لغة الحياة، فلا غرابة أن يحاربوها ويقذفوها بشر آلتهم، ويخترعوا عليها كل باطل، ويلصقوا بها كل نقيصة، ويلفقوا عليها كل ما هي براء منه.

وماذا ينتظر العدو من عدوه الأثيم غير التجني، والأذى، والباطل، وكل ضروب الشر؟! إذن لا غرابة من أعداء الفصحى أن يحاربوها، وإنما الغرابة أن يشترك معهم في عداء العربية، والحق عليها عرب مسلمون ادعوا على العربية ما ادعاه خصومها من الصليبيين، والصهيونيين، والشيوعيين^(٣١) .

العقبة الثالث: اتهام اللغة العربية بأنها ليست لغة حضارة ، فهي تقتل الإبداع والابتكار لدى متحدثيها:

ادعى المستشرقون عجز الفصحى بقاموسها اللغوي عن حمل لواء العلوم والفنون العصرية، وأن سبب تخلف المسلمين ثقافياً وحضارياً يرجع إلى ما تعانيه تلك اللغة العربية الفصحى من عجز وقصور عن نقل ما أخرجته العقول الغربية المتحضرة، لهذا دعوا إلى ترك العربية الفصحى، والبحث عن لغة أخرى، حتى يمكن اللحاق بركب الحضارة الحديثة.

فأشار المستشرق ((بيتا)) إلى أنّ ازدواجية اللغة ستؤدي إلى عدم وجود ثقافة شعبية؛ لعدم استطاعة تلميذ المرحلة الابتدائية الحصول ولو على نصف معرفة، بسبب صعوبة الفصحى، فضلاً عن أن طلاب المدارس الثانوية يعانون من صعوبة دراستها؛ بسبب كتابتها بحروف هجائية معقدة فكيف بجماهير الناس الذين لا يعرفون الكتابة مطلقاً،

(٣٠) - المصدر نفسه / ١٢٨

(٣١) - قضايا ومشكلات لغوية / ٤٧

كما ندد المستشرق ((كارل فولرس)) في كتابه عن اللهجة العربية الحديثة في مصر بجمود الفصحى، وكذلك انتقد المستشرق ((ولمور)) الفصحى متهما إياها بالصعوبة والجمود^(٣٢). وهكذا اتهم المستشرقون الفصحى بضعف كفايتها العلمية، نظراً لعدم قدرتها على ((مسايرة التطور العلمي الحديث، بحجة عدم وجود المراجع، والكتب العلمية باللغة العربية، حتى يستطيع كل من المعلم والتلميذ أن يتدارسها))، كما ادعوا أنها ((لغة كلاسيكية لا تصلح للحياة العصرية، إنها لغة معقدة صعبة، تضيق عن استيعاب العلوم والمبتكرات))، بسبب قلة ألفاظها، ومصطلحاتها، فهذه المزاعم وتلك الاتهامات كانت هي السبب الرئيس في الدعوة إلى العامية، بدلاً من الفصحى، واستبدال حروفها بحروف أجنبية أخرى^(٣٣).

ولم يقتصر الأمر على اتهام المستشرقين لها بعدم كفايتها العلمية، بل تعداه إلى بعض أبنائها من المفكرين، والكتاب، ومن هؤلاء المفكرين ((محمد حسين هيكل)) الذي رأى عدم ملائمة العربية الفصحى للحضارة الحديثة، فقال: ((والحق أن اللغة العربية على ما خلفتها حضارة العرب كثيراً ما تستعصي على صور هذه الحضارات الحديثة، وليس عليها من ذلك ذنب، وليس في طبيعتها دون الوصول إليه عجز، ذلك بأن اللغة العربية أداة، وإن لم يدم صقلها علاها الصدا، ثم كان فيها تثاقل عن السير المطمئن إلى حيث يحتاج إليها ذهن الفياض بمعان وصور جديدة، ولقد يبلغ من صداها أن يقبرها))، وهكذا يرى هيكل أن الفصحى لا تتماشى مع الحضارة الحديثة؛ لأنها صارت لغة عاجزة وعلتها الشيخوخة، وصار يعلوها الصدا، وإن لم تنهض بنفسها فستموت وتقبر، فهي بحاجة إلى تطوير وتجديد؛ لأنها بحالتها تلك تعد متخلفة وعائقاً للتقدم^(٣٤).

العقبة الرابع: الدعوى إلى العامية بدلاً من الفصحى:

يقصد باللغة العربية ما يسمى باللغة الفصحى أو اللغة المشتركة، أو اللغة الأدبية، أو اللغة المثالية، أو النموذجية التي ما تزال تستخدمها لغة الكتابة، والتأليف، والأدب،

(٣٢)- الاستشراق والتربية / ١١٢.

(٣٣)- المصدر نفسه / ١١٤.

(٣٤)- المصدر نفسه / ١٢٦ - ١٢٧.

وهي التي أخذناها، عن الأدب الجاهلي، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، وبعض الوثائق الباقية من صدر الإسلام كرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، ومعاهداته مع غير المسلمين^(٣٥).

أما العامية فهي: ((اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي، ولا تخضع لقوانين لأنها تلقائية متغيرة، تبعاً لتغير الأحوال، وتغير الظروف المحيطة بهم))^(٣٦).

تتغير تعد الدعوة إلى العامية في العالم العربي الإسلامي واحدة من الوسائل التي لجأ إليها الاستعمار وأذناؤه، من الصليبية العالمية والصهيونية، بل لم يكن هؤلاء فقط هم الذين نادوا بها، وحاولوا تعميمها، وإنما شاركهم فئة من العرب الذين نادوا هم الآخرين باللجوء إلى العامية ونشرها وإذاعتها، بل والدعوة إليها في كل بلدان الوطن العربي بعد أن تحركت الدعوة إلى القوميات المختلفة في بلاد الشام، ومصر، والعراق، والشمال الإفريقي.

العقبة الخامسة: استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي:

لما كانت العربية لغة القرآن، والإسلام، ومحمد عليه الصلاة والسلام، فإن الحرب على الفصحى لا تنتهي ما دامت الفصحى، وما دام القرآن والإسلام، ومن أخطر دعوات الهدم التي انبثقت عن عقولهم الشريرة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي الذي وجهوا إليه قذائفهم^(٣٧).

بدأت محاولة الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية منذ وقت مبكر، وقد حمل لواءها المستشرقون ثم اتسع نطاق تلك الدعوة عقب استبدال الأتراك الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وكانت حجتهم في ذلك تسهيل عملية الطباعة؛ لأن الطباعة بالحروف العربية التي تتصل فيها ببعضها عملية شاقة، نظراً لتعدد أشكال الحرف في أول الكلمة، ووسطها، وآخرها، ومن المستشرقين الذين حاربوا العربية الفصحى عن طريق دعوتهم إلى استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية المستشرق^{((ولهلم سبيتا))} الذي

(٣٥) - نظرات في اللغة / ١١٦

(٣٦) - الاستشراف والتربية / ١٠٥

(٣٧) - قضايا ومشكلات لغوية / ٥٦ . ٥٧ .

يعد الرائد الأول للمستشرقين في تلك الدعوة، والذين ساروا على خطته نفسها، وظهر ذلك من خلال كتابه ((قواعد العربية العامة في مصر)) وألفه في عام (١٨٨٠م)، ثم عقب على عنوان كتابه بأنه كان ينبغي أن يكون عنوانه ((قواعد اللغة العامية العربية التي يتحدث بها أهل القاهرة))، فكان أبرز النتائج التي تمخضت عن ظهور كتابه هذا أنه وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية، بل إنه استخدم تلك الحروف في كتابه أمثلة لبعض النصوص العامية^(٣٨).

وقد دعا إلى هذه الدعوة صراحة ((موسى سلامة))، و((سعيد عقل))، و((أنيس فريحة)) وغيرهم، ممن يحقدون على اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم^(٣٩).

العقبة السادسة: ازدواجية الفصحى:

كل أعداء الفصحى سواء أكانوا أوريبيين، أم كانوا عرباً من مصر ولبنان من أمثال: ((وليم ولكوكس)) الانكليزي، و((سبيتا)) الألماني، و((سلامة موسى)) و((لويس عوض)) المصريين، و((سعيد عقل)) و((أنيس فريحة)) اللبنانيين، يهتمون باللغة العربية الفصحى بالازدواجية، والانفصام ويقصدون بذلك وجود لغتين: إحداهما العامية الدارجة التي يتخاطب بها العرب جميعاً فيما بينهم، والأخرى الفصيحة المقصورة على القلم والكتابة.

التحدي السابع: الدعوة إلى إصلاح اللغة العربية، وقواعد رسمها عن طريق العبث بقواعدها وإلغائها:

١- ذهب بعض المفكرين المصريين إلى ضرورة التساهل في بعض قواعد اللغة وعدم التشدد فيها، كالتساهل في بعض قواعد والإعراب، أو الكتابة، ذلك كله تحت مسمى تطوير اللغة وإصلاحها وتيسيرها.

(٣٨)- الاستشراف والتربية / ١١٠ - ١١١.

(٣٩)- ينظر: قضايا ومشكلات لغوية / ٥٧.

فقد اقترح أحمد لطفي السيد إلغاء الشكل وإبداله بالحروف اللينة الدالة على الحركات، فمثلاً كلمة ((ضرب)) تكتب ((ضارباً)) ومثل إثبات التنوين ورسمه بالكتابة، فكلمة ((سعد)) تكتب ((ساعدون)) ولكن اقتراحه هذا لم يلق قبولاً.

وأما ((سلامة موسى)) فتمثلت إحدى مقترحاته لتطوير اللغة في عدم الحاجة إلى القواعد النحوية، حيث يجب ((أن نقتصر من تعليم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية على تمكين الطالب من المطالعة والفهم بلا حاجة إلى أية قواعد خاصة بالنحو... حسبه أن يسكن آخر الكلمات ... أما في المدارس الثانوية فنشرع في تعليم أقل ما يستطيع من قواعد النحو، ولا نبالي في الإعراب، الذي أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتاً))، وهذا معناه أن يتم استخدام اللغة دون قواعد، وأسلم طريقة لذلك هي ((سكن تسلم)) كما نصح ((سلامة موسى)) بعدم الاهتمام بالإعراب، وبالتالي سيؤدي على تشويه الفصحى مما يؤدي إلى النفور منها، والبحث عن بديل، وهذا هو ما يريد ((سلامة موسى)) الوصول إليه.

ثم واصل ((سلامة موسى)) دعوته للتحرر من تلك القواعد بحجة التيسير فيقول: ((يجب أن نتجه نحو التيسير لا التعسير في تعلم اللغة العربية بأقل ما يمكن من القواعد ... فإذا كانت الغاية من التعلم هي القراءة فقط، فإننا نستطيع أن نصل إلى ذلك بلا قواعد نحوية ... ثم نقصر تعلم القواعد - بعد التيسير - على الذين سيكتبونها ... ولكن لغتنا شاذة في صعوبتها ونحتاج إلى إجراء شاذ)).

كذلك أدلى ((قاسم أمين)) بدلوه في ذلك ولاسيما في التحرر من قواعد الإعراب، فيقول: ((لي رأي في الإعراب، أذكره هنا بوجه الإجمال، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل ، وبهذه الطريقة وهي طريقة الخ، بدون أن اللغات الإفرنجية واللغة التركية، أيضاً يمكن حذف قواعد النواصب، والجوازم، والحال، والاشتقاق جميع يترتب عليه إخلاء باللغة، إذ تبقى مفرداتها كما هي في اللغات الأخرى يقرأ الإنسان ليفهم، أما في اللغة العربية فإنه يفهم ليقراً)).

كما قدم محمود تيمور لمجمع اللغة العربية عام (١٩٥١م) اقتراحاً، هدفه تغيير نظام الكتابة، بحيث يكون للحرف شكل واحد أياً كان موقعه في الكلمة مما يسهل عملية الطباعة،

فيقول: ((واقترح أن تكون الصورة التي نقتصر عليها من صور الحروف هي التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات، والتي يسميها أهل فن الطباعة حروفاً من الأولى)) ثم اتخاذ علامات الضبط المتعارفة التي يجري بها الاستعمال؛ لأنه في هذه الحالة لا يكون عسراً ولا مشقة بعد تخلص صندوق الحروف المطبعية من الصور المتعددة للحروف الأصلية، ثم مثل لطريقته بصحيفته التي تضمنت نص المشروع بدأها بقوله: ((أريد أن نقتصر صور من صور)) وأجاز المجمع هذا الاقتراح، ولكنه لم ينفذ بسبب خروجه عن المؤلف لأعيننا الكلمات، وما سيجري على ذلك من نتائج في الأجيال القادمة))^(٤٠).

من رسم ((متطلبات مواجهة التحديات)) التفكير في مستقبل اللغة العربية قضية بالغة الأهمية في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ولها صلة وثيقة بسيادة الأمة العربية الإسلامية وعلى ثقافتها وفكرها، وعلى كيانها الحضاري، وعلى حاضرها ومستقبلها. فهي قضية سيادة

بالمعنى الشامل، وليست مجرد قضية لغوية وأدبية وثقافية. فالواجب يحتم علينا جميعاً أن نقوم بخدمة هذه اللغة، وتيسير أمر تعلمها للعرب وغير العرب.

إن الوقوف في وجه هذه التحديات لا يأتي إلا عن طريق مشروع عربي شامل، ومؤسس على أسس علمية سليمة تأخذ على عاتقها صيانة اللغة العربية من العادي والدخيل، وكذا تكريسها في المعاملات والممارسات الحياتية اليومية، ومن هنا تبرز عدة وسائل أو متطلبات للحفاظ على اللغة العربية والسير بها قدماً نحو مجدها ورفعتها في النقاط الآتية^(٤١):

١- أن تقوم الحكومات الإسلامية والهيئات والمؤسسات الخيرية والتعليمية والدعوية بافتتاح المدارس والمراكز والمعاهد في مختلف بلاد العالم، ولاسيما البلاد الإسلامية من أجل نشر لغة القرآن وتقربها إلى نفوس وقلوب وعقول المسلمين؛ لأن أمر علمها فرض واجب لكونها من الدين، ولكون فهم الكتاب والسنة من الأمور المحتمة على المسلمين.

(٤٠)- الاستشراف والتربية / ١٣١ - ١٣٤

(٤١)- ينظر: تحديات اللغة العربية ومشاكلها في عصر العولمة / ١٦.

٢- الواجب على المؤسسات التعليمية أن تعد الأستاذ المؤهل المحب للغة العربية والتمكن منها ليقوم بمهمة تدريسها وتعليمها؛ لأن هذا النوع من الأساتذة سيتفاني في خدمة هذه اللغة ويضحي من أجلها، وسيعمل جاهداً من أجل تحبيب اللغة للناشئة فيقبلوا عليها بنفوس مفتوحة وقلوب متلهفة.

٣- على الجهات المسؤولة إعادة النظر في مناهج التعليم بين الحين والآخر، واختيار المناسب الذي يحقق الأهداف، ويخدم القضية التي ننشدها، وهذا بلا شك يتطلب إعداد كتاب مناسب يقوم بتأليفه وإعداد مادته وصياغته نخبة من أساتذة اللغة العربية والتربية، يراعى فيه متطلبات كل مرحلة من المفرادات، والألفاظ والتراكيب والأساليب مع العمل على إيجاد قواميس مناسبة لكل مرحلة تحوي ما درسه الطالب من حصيلة لغوية، على أن يكون لكل مرحلة قاموسها.

٤- توجيه اهتمام الطلبة المبدعين في الثانوية العامة إلى دراسة اللغة وتقديم التشجيع المادي والمعنوي لهم لاجتذابهم إلى هذا الحقل.

٥- ضرورة أن تكون الأحاديث في الإذاعة والتلفاز، ومختلف وسائل الإعلام في البلاد العربية باللغة العربية السليمة، وكذلك الأغاني الشعبية، والتمثيلات، والمسرح ... الخ، فكل هذه الوسائل ذات تأثير لا يجهل أحد قيمته وأن تترجم الأشرطة أو المسلسلات الأجنبية إلى العربية السهلة مباشرة أو عبر الدبلجة.

٦- الإكثار من الكتابات العصرية التي تحفظ القرآن الكريم للناشئة وترك الفرصة للمتطوعين والخواص من أصحاب الشهادات العليا ليقوموا بذلك.

٧- إصدار قرارات لتعريب كل اللافتات التي تدل على مكان أو محل أو مؤسسة أو مصلحة أو شركة عمومية أو خاصة أو شارع ... ولكي يتم تنفيذ ذلك بيسر ونجاعة لا بد من تجنيد نخبة ممتازة من الأساتذة والمعلمين والخطاطين والمناضلين لخدمة هذه القضية، ويتم التنفيذ بعملية محو الحرف اللاتيني أينما وجد، واستبداله بلغة عربية سليمة.

٨- إصدار قرارات تقضي بجعل اللغة العربية وحيدة الاستعمال في ميدان الإدارات العمومية والجمعيات ، والمقاولات والمؤسسات والصحافة والتعليم ما عدا في أقسام تعلم اللغات الأجنبية.

٩- استخدام الوسائل التكنولوجية في تعلم اللغة العربية، إنّ مجتمعاتنا اليوم بحاجة إلى تغيير وتطوير وتجديد، ومن تلك الأمور التي تحتاج إلى أفق جديد ونظرة جديدة، ما يرتبط بقضايا التعليم والتربية، فما زالت مناهج التعليم تنتمي لحقبة ما قبل عصر المعلومات والاتصال، وهي لم تعد صالحة. في جوانب منها على الأقل - حتى لسوق العمل، ما يؤدي بالمترشحين حديثاً من الجامعات للالتحاق بقطار البطالة، أما مسؤولية الشباب تجاه أنفسهم، فيتطلب من كل شاب أن يعمل بجد واجتهاد من أجل مستقبله، ومستقبل أمته، ويستلزم ذلك تأهيل الذات علمياً وعملياً، واكتساب المهارات الجديدة، والالتحاق بال تخصصات العلمية المتطورة، وعدم التوقف عن كسب المعرفة والعلم، فلا مكان اليوم لمن ليس لديه علمية راقية.

كما أكدت كثير من الدراسات إلى إمكان تحسين التعليم باستخدام الحاسوب، وتوفير تفاعل واستيعاب أفضل للمتعلم، وقد أشادت الدراسات إلى أن التعليم باستخدام الحاسوب يمتاز بميزات عدة من أبرزها:

- توفير فرص كافية للمتعلم للعمل بسرعه، وقدراته الخاصة، ما يكسبه بعضاً من مزايا تفريد التعليم، وتزويد المتعلم بتغذية راجعة فورية.

- التشويق والمرونة باستخدامه المكان والزمان والكيفية المناسبة للمتعلم.

- الإسهام بزيادة ثقة المتعلم بنفسه وتنمية المفاهيم الإيجابية للذات^(٤٢).

وقد وصلت تكنولوجيا التعليم إلى الموقع الذي يجعلها مرشحة لأن تحدث تأثيراً واضحاً، وتغيرات ملموسة، وربما جذرية في العملية التعليمية، فقد وصلت الكتب الالكترونية ((كتب الكمبيوتر)) إلى مرحلة متقدمة، وسوف يؤدي ارتفاع نضج التلاميذ

(٤٢)- ينظر : تكنولوجيا الحاسوب والعملية التعليمية / مقال منشور في www.moe-edu.aa.

وثقافتهم إلى أن تكون كتبهم الدراسية على أقراص الكمبيوتر، تشتمل على عناصر ووسائل متعددة، فائقة، ذات تفاعلية متكاملة^(٤٣).

لذلك يجب أن يتم تعليم اللغة العربية وفق النظريات الحديثة، وبالاعتماد على المختبرات اللغوية التي تؤمن المحاكاة الصحيحة للغة وممارستها، سماعاً، ونطقاً، وتصحيح الأخطاء، وتساعد الدارسين على التحكم في سير الدرس. إذ أن الحاسوب يزود المتعلم بالمعلومات، ويسمح له بالاستجابة، ثم يعزز له مساره، وتوضح له النتيجة العامة لصحة استجابته، مما يشكل تقويماً متكاملاً لعمل الطالب، ويزيد الحاسوب من فاعلية التعليم، ويعلم المتعلم كيف يتعلم، وثمة ألعاب لغوية ترفيهية يتعلم التلميذ من خلالها ويستمتع بها، إذ يتعلم الحروف، والكلمات، والمقاطع الصوتية، والتمرينات البنيوية، والإعراب من خلاله، ومن وسائل التقنية المراكز السمعية والبصرية حيث يستخدم في المراسلة كتاب أساس يشجع على التعلم السمعي الشفهي، وبعض الأشرطة المسجلة المصاحبة للكتاب، الهادفة إلى توضيح تفاصيل النطق، وسلامة القراءة والكتابة.

إن استخدام التقنيات في تعليم اللغة العربية يعد الأساس لتطوير هذه اللغة، فإذا وزنا بين تعلم اللغة العربية واللغة الانكليزية، نجد فجوة واسعة، تعود إلى أن طالب اللغة العربية على سبيل المثال، تشده اللغة الانكليزية بمختبرها اللغوي وأشرطتها المسجلة والمصورة، وبلوحاتها التوضيحية الملونة، وتغريه ألعاب الفيديو والحاسوب، التي يمارسها بصورة شائعة ومسلية، بينما نجده عازفاً عن اللغة العربية التي تفتقر إلى هذه التقنيات، فما زال النحو والصرف يدرس بصورته القديمة، ولا بدّ من جديد يعيننا على إدخال التقنية في تدريس اللغة العربية، وتطوير طرائقها، فطالب العصر الحديث اليوم، يختلف عن طالب الأمس، فهو في محيط يكتشف أمامه كل شيء على الواقع، وفي بيئة يعايشها أكثر مما يقرأ عنها، ولا ننسى دور التلفاز وبرامج القنوات الفضائية.

١٠- ولا بد من وضع خطوات، وإجراءات تتطلبها عملية تحديث أساليب تعليم وتعلم اللغة العربية ولاسيما لغير الناطقين بها نوجزها فيما يأتي:

(٤٣)- ينظر : تربويات الحاسوب والعملية التعليمية / ٣١٠ ، ٤١٢ .

الخلاصة

- أما النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:
- ١- تعد اللغة العربية من الثوابت الأساسية للأمة العربية، فهي رمز هويتها، وأداة إبداعاتها الفنية، ومعلم من معالم النتاج الفكري والأدبي، كما أنها وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد.
 - ٢- إنّ اللغة العربية ولا شك تمتلك من الخصائص والمميزات التي تجعلها قادرة على مسايرة العصر ومواكبة عالم التكنولوجيا والتطور الحاصل جراء الثورة المعلوماتية والانفتاح على شبكات الانترنت ووسائل الاتصال الحديث
 - ٣- إنّ اللغة العربية مرنة تحمل في بنيتها بذور النماء والتطور والتجديد بما فيها من نحت واشتقاق وتصريف، فهي لغة حية قادرة على استيعاب مستجدات الحياة والتعبير عنها.
 - ٤- إنّ مستقبل اللغة العربية مرتبط بمستقبل ناطقيها.
 - ٥- إنّ من دلائل ضعف اللغة العربية وجود كثير من الأخطاء اللغوية على المستويات الصوتية، والنحوية، والصرفية، والدلالية، والإملائية حتى بين المتخصصين في دراستها، ويعود ذلك، لضعف المناهج التعليمية الخاصة بتدريس اللغة العربية.
 - ٦- يناط بالحكومات والقائمين على المؤسسات التعليمية والتربوية والوسائل الإعلامية أهمية المشاركة في مواجهة الآثار والتحديات التي تواجهها اللغة العربية، مما يعين على تجاوز هذه المرحلة، وترسيخ قابلية اللغة العربية في الوقوف بأوجه التحديات.

المراجع والمصادر

- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار): عبد الرحمن حسن
حبنكة الميداني، ط ٦، دار القلم،
دمشق - سوريا، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م
- الأساليب الحديثة لتدريس العربية : د. سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،
عمان - الأردن، ١٩٩٩
- الاستشراق والتربية : هاني محمد يونس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان -
الأردن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- تحديات اللغة العربي ومشكلاتها في عصر العولمة: د. مهين حاجي زادة، ود. شهريار نيازي،
بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية.
- تربويات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الحادي والعشرون: إبراهيم عبد الوكيل الفار،
سلسلة تربويات الحاسوب، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م.
- التربية وثقافة التكنولوجيا: أحمد علي مذكور، القاهرة - مصر.
- تكنولوجيا الحاسوب والعملية التعليمية: حورية مالي، وزارة التربية والتعليم، الدوحة
قطر www.moe-edu.qa
- طرائق تدريس اللغة العربية: السيد محمود، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٨م.
- عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم: د. عبد الكريم خليفة، مجمع اللغة
العربية، دمشق. سوريا، ٢٠٠٣م
- العامية والفصحى: عزة دروزة، مقال ضمن قضايا وحوارات النهضة العربية (٢٨)،
المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية)، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب،
دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٤م
- الغزو الثقافي للبلاد الإسلامية (ماضيه وحاضره): منصور عبد العزيز الخريجي، ط ٢، دار
الصميعي، الرياض، ١٤٢٠هـ. (٢٠٠٤)

قضايا ومشكلات لغوية: أحمد عبد الغفور عطار، دار تهامة ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٢هـ.
١٩٨٢م.

كيف تستخدم اللغة العربية الألفاظ وأصلها العربي: أحمد بك عيسى ، مقال ضمن قضايا
وحوارات النهضة العربية (٢٨) المنشورة في كتاب (الفصحى والعامية) تحرير
وتقديم : محمد كامل الخطيب ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، (٢٠٠٤م.)

اللغة العربية بين حمايتها وخصومها: أنور جندي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة - مصر.
اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية : محمد بن سعيد العرفي، مقال مقدم ضمن قضايا
وحوارات النهضة العربية (٢٧) المنشورة في كتاب (اللغة العربية: آراء
ومناقشات)، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، دمشق، منشورات وزارة الثقافة
اللغة العربية لغة الإسلام: يحيى بن عبد الله العلمي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،
دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ع ٨٨ ، (محرم ١٤٢١هـ- مايو ٢٠٠٠م)
اللغة العربية والإبداع الفكري والعلمي في العصر الحديث: عبد الكريم خليفة، مجلة
مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ع ٨٨ (محرم
١٤٢١هـ- مايو ٢٠٠٠م.)

اللغة العربية والعولمة الثقافية: محمد عبد الحي، مجلة التعليم، المعهد التربوي الوطني
بنواكشوط، العدد ٣٤ ، لسنة ٢٠٠٣

المدخل إلى الثقافة الإسلامية: محمد رشاد سالم ، ط ٩ ، دار القلم، الكويت ، ١٤٠٧هـ-
١٩٨٧م.

المدخل إلى اللغة العربية: بدر الدين أبو صالح ، ط ٢ ، دار الشرق العربي، سوريا - لبنان.
مزاحمة العامية للغة العربية الفصحى في المدارس الابتدائية بمحافظة القنفذة من وجهة
نظر معلمي المرحلة الابتدائية: يحيى بن عبد الله الزبيدي، رسالة ماجستير، كلية
التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١هـ- ١٤٢٢هـ.

نظرات في اللغة: محمد رضوان دار الحقيقة ، بنغازي ، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

واقع العربية اليوم: محمد علي ، ومحمود إبراهيم ، منشور في موقع www.zahral.com